كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

النسخة الاصلية ، وهي اثر أُنف لم ينشر قبلُ

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني

شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس الحوري

الراهب اللبناني (تابع)

. سنة ١٧٥٧ للخليقة، تعمرت مدينة نينوى ، اي الموصل . وفي سنة ١٧٧١ للخليقة، سام عمر مدينة القدس ، ووضع حجرة آدم — الذي طلعت قسته من ابيه بانه الاكبر — في جبل الجلجلة ، حتى ركز صليبه السيد المخلص، ودعا اسمه اولا يابوس . وبعده سميت مدينة داود ، ثم اورشليم ، ثم دعيت القدس الى يومنا هذا .

وفي سنة الفين وسبعة وعشرين ، سام عمر دمشق ، وبعد ذلك سميت الشام . وفي هذا العصر (اي السنة المذكورة) عمر مدينة حمص ، وكانت تدعى قديماً ايماصا وهي [٧] من مدن سوريا .

مصر مملكة مشهورة للغاية ، في كل الدنيا . واسم مصر مشتق من مصرين ابن كوش الذي عمرها ، في عهد مايتين سنة بعد الطوفان اي سنة الف وثمانماية وخمسين للخليقة . وفي سنة الفين وماية وعشرة ، تعمرت مدينة صور . وفي سنة الفين وماية وخمسين ، تعمرت مدينة تيبايس . وفي سنة ٢٧٣٢ ، تعمرت مدينة صيدا . وفي سنة الفين وسبعماية وثمانية ، كان عمل المسلات (اعمدة طويلة) في اسكندرية وغيرها . وفي سنة الفين وثمانماية وعشرين ، تعمرت قبور الهرام (الاهرام) في مصر وغيرها .

وفي سنة ثلاثة آلاف وثمانية عشرة ، كانت عمارة هيكل سليمن . وفي سنة ثلاثة آلاف وتسعين ، تعمرت مدينة السامرة ، اي نابلوس . وفي سنة

٣١١٢ ، تعمرت مدينة قرطجنة ، اي الجزائر . وفي سنة ثلاثة آلاف وخمسماية وخمسين ، تعمرت مدينة رومية العظمى ، ام كافة مدن ايطالية ، وسميت رومية الى يومنا هذا . وفي سنة ثلاثة آلاف وسبعماية واربعين ، الملك اسكندر العظيم ، عمر مدينة اسكندرية ، وسماها باسمه . ويذكر (يوسيفوس ايضاً) في تاريخه ، ان في هذا العصر (اي السنة المذكورة) ، عمروا وزراه عدة مدن ، اي عكا ، وطرابلس واللاذقية وحما ، في فونيقية . فعكا كانت تسمى اولاً طوليمايدة ، وطرابلس كانت تدعى طروبيلي (Trypoli) اي ثلاث مدن : الواحدة في البحصاص ، والثانية بين الميناء والمدينة ، والثالثة في السرفتانية على حد بيت عمور . واما التي هي الآن طرابلس ، كانت تسمى وادي الكنايس .

وبعد فتوح الاسلام المدينة المذكورة ، هدمت الثلاث مدن المذكورين ، وحولوا كنايسها الى جوامع ، كما تلوح (تظهر) في شهرتها . والموادن (المآذن) التي هي شاهقة ، كانت موضعاً للجراس ، والمدارس لم تزل مدارس لهم ، والكنايس جوامع . وكل كنيسة ومدرسة بقي وقفها لها الى يومنا هذا .

واللاذقية كانت تدعى قديماً ارماطوليتا . ومدينة انطاكية كانت قديماً راس مدن سوريا . بناها الملك لوكوس ، احد خلفاء اسكندر ، واسماها [٨] اولاً انطانية ، باسم انطيوخوس . وهي معمرة على شاطي نهر اورنتيوس (Oronte) اي العاصي . وفي الازمنة القديمة ، حُسبت الثالثة من مدن العالم الكبار . لكن الآن لم يبقى منها الا جزء ، كما يبان من دايرة صورها . وتدعى الآن انطاكية .

(بالاحمر) عمارة القسطنطينية .

تعمرت قديماً مدينة صغيرة . وكانت تسمى بيزنطية . وحين قام الملك قسطنطين من رومية ، وسلّم ايطالية الى الحبر الاعظم ، اتى الى بيزنطية ، وبناها مدينة عظيمة ، على سبعة جبال ، طولها ينوف عن ساعة ، وعمر بها كنيسة عظيمة ، اي اجيا صوفيا . وسماها القسطنطينية . وكان ذلك في سنة ثلاثماية وثلاثين مسيحية . ولما اخذوها الاسلام من ملوك الروم ، سميت اسلامبول ، اي مدينة الاسلام .

وجود اكي دنيا سنة ٤٩٣ م. — ديار بكر كانت تسمى قديماً آمد . — بغداد كانت تسمى قديماً بابل . — برصه كانت تسمى قديماً بروسه . — حلب كانت تدعى قديماً بيروا (حنّاً) . — بانياس كانت تدعى الحولة . — مرعش كانت تدعى بنيح . — معلولا كانت تدعى المداين . — نابلوس دعيت شكيم ، ثم السامرة ، وفي ايام السيد المسيح دعيت سوكار . — مكة كانت تدعى عمان.

فونيقية الاولى في سوريا ، كانت تنقسم قسمين ، اي فونيقية الخاصة ، وكانت تحوي بيروت وصور ، وصيدا والباقي ... — وفونيقية الشام ، اي فينيقية جبل لبنان التي كانت تحوي هيليت يواليس ، اي بعلبك والشام ، والباقي ... — الموصل كانت تدعى نينوى . — بيروت كانت تدعى دربي . — جبيل كانت تدعى لوسترا . — البترون كانت تدعى فونيقية لبنان . — انفه ، قرب مدينة طرابلس ، كانت تدعى تريباريس . — طرابلس كانت تدعى طبرياسة . — القدموس كانت تدعى مالاطوس .

واما مدينة جبيل ، كانت في القديم مدينة عظيمة ، مبنية فوق جبل لحد دير البنات . وبعد ان دثرت من طول الزمان ، جدد عمارها في الميناء الملك حنا ، وعمّر بها كنيسة عظيمة على اسم يوحنا مرقوس .

[٩] (بالاحمر) تاريخ قلعة فقرة (بالاسود) الذي فوق مزرعة كفرديبان في جرود كسروان

يذكر في بعض تواريخ انه في سنة ٣٨٢٧ لكون العالم ، ان الملك بطلماوس السادس من ملوك مصر ، المحب ام الالهة لسبب مساعدتها له على تكميل مقصده الردي ، وكان باني لها معبدًا في مصر عظيماً ، مزين بالذهب والمعادن . وهذه الام النجسة ظهرت في الحلم لهذا الملك الخبيث ، قايلة له : اريد منك تبني لي معبدًا في جبل لبنان ، والى اولادي الستة ، لكل منهم معبدًا . وكان هذا الحلم على ثلاث ليالٍ . وفي الليلة الثالثة سألها الملك قايلًا : اريد منك ان تعرفيني المكان الذي تريديه لهذا العمل . فقالت له : اجعل تمثالي على ضهر ناقة ، ووجّه معها احد وزرائك الذي يقدر الى تمام هذا العمل ،

ويشي وراء الناقة الى موضع تنوخ ولا تعد تقوم ، فهناك يبني لي معبدًا . فلما اصبح الصباح ، باشر الملك بما امرته به ، ووضع تمثالها مع تمثال اولادها على ظهر ناقة مزينة بالحرير والذهب والارجوان ، ووجه معها احد وزرائه بالجيش الوافر . ولم تزل هذه الناقة سارية (سائرة) ، وهم يتبعونها الى المحل المذكور اعلاه . وحين وصلت الى هذا المكان ، نخت الناقة ، ولم تعد ان تقوم . فتحقق قايد الجيش ان هذا المحل الذي تريده ، كما افهمت السيدة . فحالًا باشر ببنا معبد عظيم ، مشيد مزين بكمال الزينة الفاخرة والبناء العظيم الرفيع الشان ، الذي ما حصل مثله في ذلك العصر ، في جبل لبنان .

وكان له في راسه قبة عظيمة من نحاس سيدرية مطلية بالذهب الابريز . وكانت النظر اليها عند شروق الشمس . ومن عظم ارتفاع هذا المعبد ، كانت تصل فيته (ظله) مسافة ساعتين عند شروق الشمس . وكان هذا القايد يحث ويأمر كافة عباد الاصنام في زيارة هذا المعبد ، امرار شتى في السنة ، كما اومر من الملك سيده . واما هذا المعبد ، مع طول المدة والسنين ، وتلاشي (ملاشاة) عبادة الاوثان ، خرب [١٠] هذا البنا وتلاشى ، وبقيت رمته ، وبعض اشارات من عماره تدل على عظم بنيانه . وهذه الرمة باقية في المحل المذكور الى يومنا هذا .

واما اولاد الام المذكورة الستة ، عمر لهم القايد هياكل . اولا ارطاميس ، عمر له معبد في اسفل قاطع بيت شباب . وبعد ان تلاشي ، اقيم عوضًا عنه ديرًا على اسم سيدة طاميش . وهو الان بيد الرهبان اللبنانيين ، من جملة ديورتهم المشهورة ، كرسيًا لاب عامهم (لرئيسهم العام) .

الثاني ابولون ، بنى له معبدًا تحت عجلتون (بكسروان) . وبعد ان تلاشى ، صار مكانه مزرعة تسمى بلوني ، بيد المشايخ الخوازنة .

الثالث عجلون ، بنى له معبدًا فوق بلوني . وبعد ان تلاشى ، صار قرية تسمى عجلتون ، يسكنوها بيت الخازن .

الرابع رافان ، بنى له معبدًا بقرب عجلتون ، وهو الآن دير لسكنة (يسكنه) الرهبان العباد والمطارين ، ويسمى الآن دير ريفون .

الخامس ، بنى له معبدًا في جبة المنيطرة ، في قرية افقا ، بجانب نبع نهر

ابرهيم ، كانوا يصيفوا فيه البعض من اهالي الساحل وجيرته ، ويرتكبوا به كافة الفواحش . يخبر اوسابيوس القيصري ان الملك قسطنطين الكبير امر بهدمه ، واقام عوضه برجاً مثنى على اسم السيدة ، لكي يمنعهم عن هذا الفعل الردي.

السادس عمر له معبداً في قرية حدشيت ، في جبة بشري . وهذه (اي حدشيت) لفظة سريانية ، معناها احد الستة . وحين تلاشى (المعبد) عمروا مكانه كنيسة على اسم القديس ماوي رومانوس . وبعد مدة من الزمان ، حين ارادوا اهل القرية يعمروا حايط الذى كان انهدم في الكنيسة ، وجدوا هذا الصنم من حجر رخام ، كبير الجثة والهامة . فكسروا رأسهُ ووضعوا جثته في اساس حايط الدير (الكنيسة) . وهذا التخبير من جملة اناس اختيارية القرية ، كما تحققوا من سلفايهم الاقدمين .

ابتدا تواريخ السنين

من آدم الى تواريخ اليونانية ، ثلاثة آلاف وسبعماية واربعين سنة . من تاريخ اليوناني الى مجيء المسيح ثلاثماية و ١١ سنة . من مجيء المسيح الى الشهدا ٣٨٤ سنة ، ومن الشهدا الى الهجرة ثلاثماية سنة وسنة [١١] . فيكون من آدم الى الآن (١٨١٩) خمسة آلاف وثمانماية وسبعين سنة . ومن تاريخ اليوناني ، اي تاريخ الملك اسكندر ، الى الآن الفين ومايتين وثلاثين سنة . ومن تاريخ السيد المسيح الى الآن ١٨١٩ سنة . ومن تاريخ الشهدا الى الآن ، اي السنة الذي قتلوا بها شهدا لا يحصى عددهم ، وصار التاريخ ، ١٥٣٥ سنة . ومن تاريخ الهجرة الى الآن ١٢٣٥ (سنة ٥ . ١٨١٩ م . سنة انجاز هذا الكتاب كما تقدم) .

ابتداء ظهور الاسلام

في سنة خمسماية وخمس وثانين م . ظهور محمد . وكان مولده في ربيع اول. ومات سنة ٢٥ ه . (٦٤٥ م .)

علم الخلفاء

اولهم ابو بكر الصديق ، عبدالله . وكانت خلافته سنتين . ومات في عمر ٦٣ سنة . الثاني عمر ابن الخطاب ، وقتل في سنة ٢٣ هجرية (٦٤٣ م.)

وهو اول من اندعى باسم امير المؤمنين. الثالث عثمان ابن عفان ، وقتل في سنة ٣٥ هـ . (٦٥٥ م .) في عمر ٨٣ سنة . وكانت خلافته ١٢ سنة الرابع علي ابن ابي طالب . وقتل في عمر ٦٣ . وكانت خلافته ٥ (اي خمسة اعوام).

الخامس الحسن ابن علي ابن ابي طالب ، وكانت خلافتـه نصف سنة . وتنزل بخاطره .

السادس معاوية ابن ابي سفيان . ومنه ابتدا الدولة الاموية ، ابي بني مريا (أمية) . والخلفا من هذه الدولة اثني عشر خليفة ، ابتداهم معاوية المذكور ، ابن ابي سفيان ، وآخرهم مروان ابن محمد ، ابن مروان ابن الحاكم (الحكم) الذي قتل في صعيد مصر. وكان مدة تملك دولة بني مريا الف شهر ، اي ثلاثة وثمانون سنة واربع اشهر ، من سنة ٤١ هـ (٦٦١ م .) الى سنة ١٣١ هـ (٧٤٨ م .)

دولة بنو عباس

اول الخلفا منهم عبدالله ابن السفاح ، من سلالة آل هاشم . وخلفايهم ٤٨ خليفة . وابتدا دولتهم من سنـة ١٣١ هـ (٧٤٨ م .) الى سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م .) تكون اقامة خلافتهم ٥٩٣ (٥٩٣) سنة .

[١٢] دولة الفاطميون في مصر

وكان تملكهم في زمان الخلفاء العباسيون الذين في بغداد . ابتدا تملكهم في القيروان ، ثم انتقلوا الى مصر في ايام العزيز من اهل طولون والاخشيد. وهم اربعة عشر خليفة . منهم تسعة خلفا في مصر . وكان زوال دولتهم في سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م .). تكون خلافتهم مايتين وعشر سنين. ثم تولى مصر نور الدين محمود ، ويكنى الملك عادل ابن زنكي ، وكان والياً من قبل العباسيون على الشام ، في ايام تملك الفرنج على بيت المقدس.

دولة الايوبيين

اولهم صلاح الدين يوسف . وآخرهم صلاح الدين طورنشاه يوسف ، ويكنى الملك السعيد . وعدة خلفايهم ثمانية . وابتدا تملكهم من سنة ٥٦٩

(٥٣٠ هـ . ١١٣٥ م.) الى سنة صمحس (٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م.) . تكون مدة خلافتهم ٧٨ سنة .

دولة الشراكسة في مصر وهم دولة الاتراك

اول ملك منهم عز الدين ايبك التركماني في سنة صمحس (٦٥٦ هـ . ١٢٥٨ م .) الى سنة رصح (٩٢٢ هـ . ١٥١٦ م .) وآخر من تملك منهم ، الملك الاشرف الغوري . وهم تسعة واربعون ملك . ثم تملك مصر السلطان سليم العثماني . وكان مدة تملكهم صمحس (٦٤٨) سنة .

دولة آل عثمان

اول ملوكهم السلطان عثمان ، وكان اول جلوسه في مدينة ايقونية ، في سنة ٦٩٩ هـ . (١٢٩٩ م .) . وكانت اقامته بها ٢٧ سنة ، ونقل الى برصه في سنة حصه (٧٨٦ هـ. ١٣٨٤ م.) . واستقام التخت في برصه من سنة حصه (٧٢٦ هـ. ١٣٢٥ م.) الى سنة ولي (٨٣٣ هـ . ١٤٢٩ م .) .

السلطان محمد ابن مراد اخذ القسطنطينية في ٢٩ ايار يوم الثلثا سنة صنا (٨٥٧ هـ . ١٤٥٣ م .) . وهو اول من تملك بها من آل عثمان . اخذ قبرس من البنادقة السلطان سليم الثاني ، ابن بايزيد ، في سنة رصه (٩٢٦هـ. ١٥١٩م.) وفي سنة رصس (٩٢٨ هـ . ١٥٢١ م .) ، المذكور (السلطان سليم) فتح بلاد سورية ، اي حلب [١٣] والشام وطرابلس واورشليم ومصر ، وباقي تخوم العرب ، وقسمة من بلاد اليمن .

فيكون عدة تملك آل عثمان ، من اول تملكهم في ايقونية سنة ٦٩٩ ، الى يومنا هذا ، سنة اوكه (١٢٣٥ هـ . ١٨١٩ م .) . يكون مدة تملكهم تلج (٥٣٤) سنة . ومن مدة اول تملكهم في القسطنطينية ، الى يومنا هذا حصه (٣٧٦) سنة . وعدة (عدد) سلاطين آل عثمان ، من اول تملكهم الى الآن (١٨١٩ م .) ، كما هم محررين ادناه ، من اول تملكهم في ايقونية واحد بعد واحد :

١ عدة سلاطين عثمان ، الذي اخذوا الكنوة منه ، وهو اول من جلس

في تخت ايقونية سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م.) وكانت اقامته في التخت ٢٧ سنة .

٢ اورخان ابنه ، كان اول جلوسه في برصه سنة ٧٣٦ هـ . (١٣٣٥م.) استقام في التخت (الملك) ٣٥ سنة.

٣ مراد ابن اورخان جلس في برصه . اقامته ٣١ سنة وسمي الظافر . هذا اخذ كليولي وادرنة وقيليقية .

٤ ابي زيد ابن مراد ، اقامته ١٤ سنة . هذا اخذه التمرلنك اسيرًا (اسيرًا) الى بلاد العجم . وبقي كرسيه بلا ملك ١٧ سنة .

٥ محمد ابن بايزيد ، اقامته ثمان سنين .

٦ مراد ابن محمد ، اقامته ٢٣ سنة .

٧ محمد الثاني ابن مراد ، اقامته سنتين .

٨ مراد الثالث ابن محمد ست سنوات . هولاء دفنوا في برصه .

٩ محمد ابن مراد ، اقامته ٣٢ سنة . هذا في ايامه اخذت القسطنطينية ، ونقل التخت العثماني اليها سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م.) .

١٠ ابا يزيد الثاني ابن محمد ، اقامته ٣٢ سنة .

١١ سليم ابن بايزيد ، اقامته تسع سنوات . هذا الذي فتح سوريا وغيرها ، كما محرر اعلاه .

١٢ سليمان ابن سليم ، اقامته ٤٨ سنة . هذا الذي اخذ قبرس سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م.) .

١٣ سليم ابن سليمان ، اقامته ثمانية اشهر .

١٤ مراد الثالث ابن سليمان ، اقامته عشرون سنة وثمانية اشهر .

١٥ محمد ابن مراد ، اقامته اربع وعشرين سنة .

١٦ مصطفى ابن محمد ، اقامته ثلاثة اشهر وثلاثة ايام ، وانزلوه عن التخت .

١٧ عثمان الثاني ابن محمد ، اقامته اربع سنين وشهر .

١٨ مصطفى ابن محمد ، اقامته سنة واربعة اشهر .

١٩ مراد الرابع ابن محمد ، اقامته سبعة عشرة سنة . هذا اخذ بغداد من الفرس .

٢٠ ابرهيم ابن محمد ، اقامته تسع سنين وتسعة اشهر .
٢١ محمد ابن ابرهيم ، اقامته واحد واربعون سنة . اخذ كريت من البنادقة سنة ١٦٤٨ م .
٢٢ سليمان ابن ابرهيم ، اقامته ثمانية اشهر و ٢٢ يوم .
٢٣ احمد ابن ا هيم ، اقامته ثلاث سنين وشهرين .
٢٤ مصطفى الثاني ابن محمد ، اقامته ثمان سنين وتسعة اشهر وعشرة ايام .
٢٥ احمد الثاني ابن محمد ، اقامته ثمانية وعشرون سنة وثمانية عشر يوماً .
٢٦ محمود ، اقامته ستة وعشرين سنة .
٢٧ عثمان ابن مصطفى ، اقامته ستة اشهر .
٢٨ مصطفى ابن محمد ، اقامته ستة عشر سنة .
٢٩ عبد الحميد ، اقامته ستة عشر سنة .
٣٠ سليم ابن مصطفى ، اقامته ٢٢ سنة . هذا الذي اخذ منه الفرنساوية مصر في سنة أوسي (١٢١٣ هـ . ١٧٩٨ م .) ، واستقاموا بها الى سنة أوسط (١٢١٧ هـ . ١٨٠٢ م .) . وخرجوا منها بمساعدة الانكليز ، وركز الحال . وبعده تملك السلطان عبد الحميد[1] ، وهو الحادي والثلاثون من ملوك آل عثمان ، وهو الجالس يومئذ سنة أوسج (١٢٧٤ هـ . ١٨٥٧ م .) .

[١٥] صورة مكتوب من السلطان عبد الحميد الحادي والعشرون من ملوك آل عثمان الى امراء البندقية

انها لم تحتي ولم تدرك العقول مراحم الله تعالى خالق البرية ، ومانح كل عطية ، الذي لا يتغير بل ثابت في ذاته الازلية . لا تدرك عدة (عدد) آياته ، رئيس الانام ، سيد الاوليا محمد ، خلد الله عليه وعلى كل ذريته واتباعه جميع البركات العلية .

---

١) هذا السلطان قد زيد على السلسلة بعد وفاة المؤلف التي وقعت سنة ١٨١٩ ، كما تقدم . وذلك واضح من تاريخ جلوس هذا السلطان سنة ١٨٥٧ ، على ما لا يخفى الفهن اللبيب .

اني من قبل الجود الاعلى ، خادم ومدبر اكبر الانصار وافخر الامصار ، مدناً شاسعة وبلدان واسعة . تعطف عليها باتذهال الازمان والاجيال (لعلها الاجيال) . تزورها الانام وتهديها النذور باحترام ، اي مكة الطاهرة واورشليم الزاهرة .

اني السلطان الكلي العدل ، وملك الملوك الكلي الفضل ، مالك المدن العظام المأخوذة من ساير الحكام ، اي القسطنطينية وادرنة وبرصه ، ودمشق الطرية المقفية ، وكل بلدان العرب والبلقان والقيروان ، وحلب الشهباء ومدينتين ، وبلد الكلدانيين المشهورين ، وفارس وماردس وسيواز ، وادنة والقرمان ، وحافظ البحر وساير العبيد ، والصعيد والحبش وتونس وكل يونس ، وقبرس ورودس ، وكريت والمورة ، والتركمان والكراد ، والارمن والكرج ، وجميع تخوم الارناووط ، والبشناق العالي المكان ، وقلعة بير الاغراب المأخوذة من ملك السويس ، ومدن اليقين ، وكل الفلاك والملاك وجميع حدود التربية ، وتخوم الهندية ، واماكن وحصون ، واساكل ومتون ، التي تهمل عدتها لزيادة كثرتها .

انني الشاه ، سلطان ابن السلطان خان محمد . شاه جلّ الذي ولاه . انني ابرزت هذا الدستور المفخم الى فخر الدول المسيحيين المفخمين ، الذي تلتجي اليه بالصحيح شرف عباد المسيح فيزجل نظامهم [١٦] وتدبير احوالهم السارة ، السادات الجليل قدرهم ، الشريف ذكرهم ، العالي احترامهم ، اي حكام وامارة البندقية ، جعل الله لهم النهاية السعيدة ، مع الهداية المصيدة ، الى سبيل الخلاص الى الحياة الشيدة آمين .

اننا نوضح لكم بان قد درج بالوفاة الى سعادة مولاه الاعظم ، اخي الاكبر السلطان مصطفى شاه ، تمجده الخالق بنور مجده الفايق ، واسبغ عليه انعامه الواهية (الكثيرة) ومراحمه الازلية بقوة النير الامين ، محمد فخر العالمين ، والانبيا والمرسلين ، وشفيع امته يوم الحشر والدين . فبموجب حقوق الخلافة المستقيمة ، والقوانين القديمة ، ارتقى المختار بكل عدل وانتصار ، الى تخت العز وتخت الانتصار ، بشادة العدل القهار . وكان ذلك يوم الجمعة السعيدة ، في غاية قمر ذي القعدة ، جديد بجميل ، حيث المؤمنين الى الله تعالى يعبدون .

وبعده ، درجنا اسمنا النبيل باسم سلطان ، ونذرنا الملوكية ، اي السكة

السلطانية ، واقدرنا بجميع حكمنا بقيامنا وعدلنا ، ورفضنا حكم الكثيف باجراء عدلنا المنيف . وبتوجب العوايد من سلفاينا القدم الكرام ، اوجب اننا نعلن جلوسنا الجليل على السدة الملوكية ، الى اصحاب الدول العلية ، المرتبطون معنا في الصداقة الحقيقية .

لاجل ذلك ، نوجه كتابنا هذا الشريف من ديواننا المنيف ، للسيد المعظم ، الامير المفخم ، المشهور بالعز واليقين بين اولية المسيحيين . اعني به بولس ديتا خان ، والي البندقية ، ذي المناقب الملوكية ، ختم الله نهاية حياته النقية بسعادة الابدية ، والى ساير الامراء الكرام ، والاراكنة الفخام ، اصحاب الدول المشهورة ، في البندقية المعمورة ، حتى يحصلوا على افراح جلوسنا السعيد ، وقيامنا المجيد ، بتوجب العهود والاتفاقات والشرطنامات ، والشروط القانونية المرتبطة من بلاطنا الملوكي ومن بابنا العالي ، حتى يقدروا يوضحوا لنا حبورهم ، ويشهروا لنا سرورهم .

الى ارباب الدول الذين في حكمهم ، حتى من طريهم يضبطوا على [١٧] حفظ الشروط المذكورة ، وعلى اتصال العمل بها ، وقيام الشروط القديمة من حكمنا السعيد . ولا يبدأ من طرفهم شيء يفسد السلامة . فمن نحو جلالتنا الملوكية ، لا يمكنا نفعل شيئاً حديثاً ضد ما اوضحناه ، لكيما المحبة الخالصة ، والصداقة الكاملة التي بيننا ، تنمى وتزداد ، التي مسجلة من الطرفين ، لاجل زرد الراحة وتطمين القلوب .

حجة العهد للنصارى من محمد

هذا عهد الله لكافة النصارى ، ولساير الاماكن ، حفظاً منا لهم ، ورعاية لنجاتهم ، لانه وداعة الله في خلقه ، ليكون الحجة له عليهم . ولا يكون للناس حجة على الله بعده . وجعل ذلك ذمة منه وحفظاً لامر الله العزيز الحكيم ، اكتبه وامر ساير المولين الامور من اهل ملته بعده ، ان يتشاوه ويعملوا كل من انتحل دين النصرانية . ودعوا بها من مشرق الارض ومغربها وقبليها ، وبرها وبحرها ، وقريبها وبعيدها ، وعربتها وعجمتها ، ومعروفها ومجهولها ، عدلاً منه وسنة لهم ، ليحفظوها ويراعوها كل المتولين

الامور ، ممن هو للامور متمسكاً ، ولطاعة الامر بها تابعاً ومتمسكاً ومستاهلاً .

ومن نكثها وتعداها وخالفها ، وضيع العهد الآمر به وغيّره ، وفعل بخلاف ما رسم به الآمر ، كان لعهد الله ناكثاً ، ولميثاقه ناقضاً ، وبذمته مستهيناً ، واللعنة مستوجباً ، سلطاناً كان او غيره من المؤمنين والمسلمين .

وقد بدأت بالعهد على نفسي ، والميثاق الذي سألوني ، ومن ملتي من المسلمين ، ان اعطيهم عهد الله وميثاقه ، وذمة انبيائه واصفيائه واوليائه من المؤمنين . وساير المسلمين من الاولين والآخرين . وذمتي وميثاقي وما اوجبه الله تعالى من الطاعة ، وايثار الفضيلة والوفاء بالعهد الذي هو عهد الله تعالى ، ان احفظ اراضيهم بخيلي ورجالي وسلاحي ، وقوتي واتباعي من [١٨] المسلمين . وفي ناحية من القرب والبعد ، وان احمي كنايسهم وضياعهم ، وبيوت صلواتهم ، ومساكن الرهبان منهم ، ومواضع السواح حيث كانوا . من جبل ووادي ومغارة ، وعمار او صومعة ، او سهل او رمل . وان احفظ ذمتهم وملتهم اينما كانوا . شرقاً وغرباً ، وبحرياً وقبلياً ، كما احفظ به نفسي وخاصتي ، واهل ذمتي وميثاقي ، وامانتي في كل حين . واصدّ عنهم كل اذى ومكروه وتبعة . وان اكون ذاباً عنهم من ورائهم ، وادفع عنهم كل عدو ومؤذي ، وافديهم بنفسي واعواني واتباعي واهل ملتي ، لانهم رعيتي . وعليّ رعايتهم وحفظهم من كل مكروه . ولا يصل اليهم حتى يصل الى اصحابي الذابين عن نصرة الاسلام ، وان اعزل عنهم الاعدا في المواطن التي تحل على اهل العهد من العادة بالخراج الّا ما طابت به انفسهم . وليس عليهم جور ، ولا اكراه على شيء من ذلك . ولا يغير من ذلك اسقف عن اسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا قسيس عن قسوسيته ، ولا نصراني عن نصرانيته ، ولا زاهد عن صومعته ، ولا سايح من سياحته . ولا يهدم بيت من كنايسهم ، ولا شيء من ضياعهم . ولا يدخل شيء من منازلهم في شيء من المساجد ، ولا من منازل المسلمين بطريق القهر .

ومن تعدى ذلك فقد نكث عهد الله ، وخالفنا فيما رسمنا به وحررنا . ولا يكلّف الرهبان والاساقفة والمتوحدين منهم بلباس الصوف . ولا السكان

منهم في البراري والجبال والمواضع المنعزلة عن الابصار . ولا يطالبوا بشيء من الجزية . ويقبض من النصارى الغير رهبان من لا يتعبد . ولا سايح عليه من الجزية ، سوى اربع دراهم فضة في كل عام ، او ثوب لطيف الثمن . ومن كان محتاجاً منهم فلتعينه المسلمون من بيت المال . وان لم يسهل عليه الثوب ، يُجعل عنه .

ولا يكلفون الا ما طابت به نفوسهم استطاعة قدرتهم وحالهم [١٩] . ومن كان منهم تاجرًا في البحر، والغواص في اخراج المعادن من الجوهر والذهب والفضة ، وذوي الاموال والعمارات من المنتحلين دين النصرانية ، يكون عليهم في جزيتهم اثني عشر درهم فضة في كل عام . اذا كانوا بالمواضع قاطنين ومقيمين ، ولا يتعرضوا على عابر الطريق . ولكن ليس هو قاطن بالبلاد ، ولا يعرف موضعه الا من كان بيده ميراث مواريث الارض ، يجب عليهم حق السلطان ، فيؤدي مثل ما يعطي ملته . ولا احد من المسلمين يجور عليه ، ولا يحمل منه الا على قدر طاقته وقوته على حوايط الارض وعماراتها ، وامثال ثمراتها . ولا يكلّف شططاً ، ولا يتجاوز احد اصحاب الخراج ان ينظر اليه.

ولا يكلّف اهل الذمة منهم الخروج الى الحرب بقتال العدو مع المسلمين، لانه ليس على الذمة مباشرة القتال . ولا يكرهوا على تجهيز احد من المسلمين الى الحرب الذي لا يكون فيها عدوهم لقوة السلاح ، الّا ان تبرع من تلقاء نفسه بذلك ، اذا كان لا بدَّ لك قدرة عليه . ويكون يقوي به المسلمين من ذلك اذا كان على سبيل العادة . ويضمنه بيت المال الى ان يرده عليه . فان اوتي ، او غيّره عليه ، وقلع منه ، فيعيّن له من قيمته من طلبة بيت المال ، ويرد على صاحبه ، ولا يُتجبر على من كان في الملة النصرانية كرهاً على الاسلام، ويُقهر غصباً . ولا يتجادلوا الا بالتي احسن . ويحفظ لهم جناح الرحمة ، ويكف عنهم الاذى والمكروه حيثما كانوا ، واينما حلوا .

وان جرم واحد من النصرانية لاية خيانة كانت ، فعلى المسلمين نصرته ومعونته ومساعدته والدفع عنه ، وخلاصه من جرمته ، والدخول في الصلح بينه وبين من جاء اليه ، اما بالمساعدة ، او بانقاذه . ولا يجادلوهم ، ولا

يخاصموهم ، ولا يرفضوهم ، ولا يتركوهم هملا . لاني اعطيهم العهد الذي استوجبوه حق الزمام . وان يرفع عنهم كل مكروه ، ويدخل بهم تحت كل رفق . ويكون المسلمون شركاهم في كل ما يحل بهم . ولا يحملوا من النكاح بما لا يريدونه . [٢٠] ولا يكره البنت منهم تزويج المسلمين . ولا يتضادوا بذلك تزويج خاطبة الا بطيب نفوسهم وهواهم ، ان اختاروا ورضوا به . وان صارت النصرانية عند المسلم ، فعليه ان يرضى بنصرانيتها ، ويعينها على بلوغ هواها ، والاقتداء على راي روساها ، والاخذ بعلم دينها . ومن خالف ذلك ، فقد خالف عهد الله ، وعصى ميثاقه ، وهو عندنا من الكاذبين .

وان احتاجوا الى مرمة (ترميم) مواضعهم ، لا يكون عليهم بذلك ذنب ، لان تقويتهم لهم على ذمتهم ودينهم ، اقامة لهم [٢١] بالعهد الذي هو وهبة منا لهم. ولا يكره احد من النصرانية ان يكون في الحرب ، ولا رسولا لاعداء المسلم ، ولا في شيء مما يليق بالحرب . ومن فعل ذلك باحد منهم ، كان لله ظالماً ، ولنا غاضباً ، ومن دينه خالعاً . الا اقام الوفا لهم بهذه الشروط التي اشرطناها لاهل ملة النصارى . وليس لاحد ان يخرج عنها ، ولا ينقض عهدنا والشرائط التي اشرطناها عليهم في امور ذمتهم وديانتهم،والتمسك بها ، والوفا بما عاهدناهم ، وهو ان لا يكون احد معيناً لاحد من اهل الحرب على احد من المسلمين ، في سر ولا في علانية . ولا يأووا في منازلهم عدواً للمسلمين ، ولا يقووهم بشيء من آلات الحرب ، لا خيل ولا مال ، ولا رجال، ولا غير ذلك . ويُلفوا من ينزل عندهم من المسلمين ثلاثة ايام ولياليها . ويقومون بهم من حيثما كانوا وحيثما حلوا . وان يبذلوا لهم ما يأكلون،ويحاموا عنهم الاذى والمكروه.

وان اختفى عندهم احد من المسلمين، يأووهم ويسوسوهم حيثما كانوا، مكفين ومقيمين. ولا يظهروا للعدو عليهم .ويحملوا عنهم ثقل ما يجب عليهم . فاذا عملوا بمقتضى هذه الشروط ، ولا يخرجوا عنها ، ويكرموا في كل الاوض بقية ما يدومون فيها آمنين على نفوسهم، ويدومون على ديانتهم .ولا يغصبون على الخروج من مذهبهم قهراً ، بل نرعى لهم ذمتهم ، ويعاملوا بكل الرفق والاحسان .

ومن ينكث شيئاً من هذه الشروط ويتعداها ، او يفعل غير ما امرنا به ، فقد تعدى ونقض عهد الله وما امرنا به ، وقد سلمنا لكم العهد والمواثيق ، وما امرنا به ، بيد الرهبان اماناً مني عليهم . والايمان مني على نفسي لهم ، والوفا بهم اينما كانوا ، واينما حلوا بما قررت لهم عليه وعلى كل المسلمين من [٢٢] الرعاية بهم والرأفة عليهم ، والرحمة لديهم ، والعناية بهم ، والوفا بما يؤيدهم الى الانتهاء . حتى تقوم الساعة وتنقضي الدنيا . ومن ظلم بعد ذلك ذمياً ، ونقض العهد ورفضه ، كنت انا خصمه يوم القيامة من جميع المؤمنين والمسلمين كافةً .

ويشهد بهذا الكتاب والعهد الذي امر به صاحب الامر لجميع النصارى ، الذي اشرط لهم وعليه ، اذ كتبت لهم هذه العهدة شاهداً نقلت . وهذه اسماؤهم المجل قدرهم :

ابو بكر الصديق . — عمر ابن الخطاب . — عثمان ابن عفان . — علي ابن ابي طالب . — ابو ورد . — عبدالله ابن مسعود . — ابو الهريرة . — عبدالله ابن عباس . — عباس الزهيرة . — ملحد ابن عبد الله . — سعد ابن معاد . — فضل ابن عمر . — ياسين ابن قيس . — زيد ابن كليب . — سعد ابن عبادة . — عبد الله ابن بدير . — ابو صوص ابن قاسم . — امير ابن ابرهيم . — امامة ابن ملحد . — شعل ابن عمر . — عبد العظيم ابن حسين . — عبد الله ابن عبد الواحد . — عثمان ابن هبر . — عبد ابن منصور . — ابو حنيفه . — هاشم ابن عبد الله . — معصم ابن موسى . — حسان ابن ثابت . — ابو الصادر .

وكتب هذا العهد علي ابن ابي طالب في رق غزال ، في العشر الأول من محرم الحرام ، سنة اثنين بعد الهجرة . وهم ثلاثة نسخ ، احداها في خزينة السلطان ، باقية الآن ، ونسختان بيد الرهبان ، الواحدة بدير الطور ، والاخرى بجبل النطرون (بمصر) ، وهم يختم الامر بهم . وهذه النسخة من احدى الثلاث نسخ . — تمت والحمد لله .

[٢٣] تاريخ تمرلنك[1]

يذكر ابن الحريري في تاريخه ، انه لما كان سنة الف واربعماية م ، الموافقة

---

١) هو الملك التتري الشهير . ولد سنة ١٣٣٥ م . في مدينة الكش قرب سمرقند . وينتسب نسابةً الى جنكيز خان ، اولى ملوك المغول . تولى الملك سنة ١٣٧٠ م . وملك خراسان واصفهان . واجتاح بلاد فارس والعراقين والجزيرة والهند متنقلاً بجيوشه الوبال .

لسنة ثمانماية وثلاثة هجرية ، تملك تمرلنك العجم ، والفرس والديلم ، والعراقين ، وطبرستان ، وارمينية ، والموصل والجزيرة . وجمع عساكره بشبه الجراد ، وقصد بلاد الشام . فلما بلغ من الدهر مرادًا ، ارسل الى السلطان رسلًا ومعهم هدية وكتاب فلما وصلوا الى رحبة مالك ابن طوق ، وثب عليهم كمش بغا النائب فقتلهم ، وارسل الى السلطان الهدية والكتاب . وهذه نسخة الكتاب المذكور :

« بسم الله الرحمن الرحيم . القوة لله . قل اللهم فاطر السماوات والارض ، عالم الغيب والشهادة ، انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفين . اعلموا اننا جند خلقنا الله من سبطه ، وسلطنا على من حل عليه غضبه . لا نرق لشاكٍ ، ولا نرحم عبرة باكٍ . قد نزع الله الرحمة من قلوبنا . فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا . قد خربنا البلاد ، ويتمنا الاولاد ، واظهرنا فيها الفساد . وخيولنا سوابق ، ورماحنا خوارق ، وسهامنا موارق ، وسيوفنا صواعق ، واخويتنا سواحق . وعددنا كالرمل ، وقلوبنا كالجبال . من رام سلمنا سلم ، ومن نال حربنا ندم . فكنّا الابرام ، وجاء زمان الايتام (كذا ؟) . فان انتم قبلتم شرطنا ، كان لكم من مالنا ، وعليكم ما علينا . وان انتم ابيتم ، وعلى بغيكم غاديتم ، فلا تلوموا الا انفسكم . فالحصون من يدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا ترد ولا تمتنع ، ودعاكم علينا لا يستجاب ولا يسمع . لانكم اكلتم الحرام ، وارتكبتم الآثام ، وضيعتم الجمع ، وغرقتم ببحر الطمع ، وسلكتم طريق البغي والعدوان ، فابشروا بالمذلة والاهوان (الهوان) .

« اليوم تجزون عذاب الهوان ، بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق ، وكما كنتم تفسقون . وقد ثبت عندكم اننا كفرة . وقد ثبت عندنا انكم فجرة . وقد سلطنا عليكم الله بيده امور [٣٦] مقدرة واحكام مدبرة . فعزيزكم لدينا ذليل . وكثيركم عندنا قليل . فاننا ملوك الارض شرقًا وغربًا ، وآخذون كل مدينة غصبًا . وقد اوضحنا لكم طريق الصواب . فاسرعوا الينا برد الجواب ، من قبل ان ينكشف الغطاء ، ويقع الحرب والسطاء وتوقد الحرب نارها ، وترمي عليكم شرارها ، ولم تبق لكم بقية . وينادي عليكم منادي الفنا . هل تحس منكم من احد ، او تسمع لكم ركزًا (رزًا : الصوت الضئيل) . قد انصفناكم اذ راسلناكم ، ونثرنا لكم جواهر هذا الكلام ، والسلام » .

فاجابه السلطان بكتاب ، من انشاء بعض الكتاب ، قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال الله مالك الملك : تؤتي الملك لمن تشاء ، وتنزع الملك

ثم غزا سورية سنة ١٤٠٠ وخرب حلب ودمشق ، وضرب بغلبك . وبعد دمشق قلك ماردين وبغداد . وحارب بايزيد السلطان العثماني سنة ١٤٠٢ . وسنة ١٤٠٦ حمل على الصين بجيش الف مقاتل ، فهلك في الطريق سنة ١٤٠٥ . (تاريخ سورية للسلطان الديس ، مجلد ٦ ، ص ٤٧٠ – ٤٧٤)

من تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير ، انك على كل شيء قدير . وردّ الله الذين كفروا لم ينالوا خيرًا . واكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويًا عزيزًا .

«وصل الكتاب المخبر عن الحضرة الايغانية (الصدامية) ، والسدة العظيمة القنية . تقولون انكم مخلوقون من سبطه ، مسلطون على من حل عليه غضبه ، لا ترقون لشاك ، ولا ترحمون عبرة باكٍ . قد نزع الله الرحمة من قلوبكم . فذلك من اكبر عيوبكم . وهذه من صفات الشياطين ، لا من صفات السلاطين . وكفى بهذه الشهادة عليكم واعظًا ، وبما وصفتم به انفسكم ناهيًا وآمرًا .

«قل : يا ايها الكافرون ، لا اعبد ما تعبدون . ففي كل كتاب لُعنتم ، وبكل قبح وُصفتم ، وعلى لسان كل رسول رذلتم . وعندنا خبركم من حين خلقتم . وزعمتم انكم كفرة ، الا لعنة الله على الكافرين . من تمسك بالاصول فلا يبالي بالفروع . فنحن المؤمنين حقًا ، والقائلون صدقًا . لا يداخلنا عيب ، ولا يصدنا ريب . القرآن علينا نزل ، وهو رحيم بنا لم يزل . وتحقيقنا تنزيله ، وعلمنا تأويله . انما النار لكم خُلقت ، ولجلودكم حرقت . والجحيم لكم سُعرت اذا السماء انفطرت . ومن اعجب العجب شديد الزنوت (١ بالتوت ، والسباع بالضباع ، والكماة بالقراع .

«فنحن خيولنا رقية (٢ وسيوفنا يمانية ، ورماحنا خطية (كذا) ، وسهامنا خلنجية (خلنجية) (٣ ، والويتنا سمرية . وكاتنا شديدة المضارب ، وسفنها في المشارق [٢٥] والمغارب . فلا بد ما تأتيكم بجيل جياد ، وسيوف جداد ، وارماح مداد . اذا هجموا على البحر ترقوا امواجه ، وعلى البر الاقفر خرقوا افجاجه . قوام بالليل ، صوّام بالنهار . لا تولهم الباسب ، ولا بعد الديار . قد نشأوا على الحرب والقراع ، وألبغوا الفروسية من عهد الرضاع . فليس بيننا وبينكم سوى نظرة العين ، ونعقة غراب البين . فان قتلناكم فنعم البضاعة . وان قُتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة .

«ولا تحسب الذين قُتلوا في سبيل الله امواتًا ، بل احياء عند ربهم يرزقون . واما قولكم : قلوبكم كالجبال ، وعددكم كالرمال ، فالقصّاب لا يبالي بكثرة عدد الغنم ، وان كثيرًا من الحطب يكفيه قليل من الضرم . فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين .

«القرار من الرزايا ، لا من المنايا . فنحن ، المنية عندنا غاية الامنية ان متنا ، سعداء ؛ وان متنا ، شهداء . الّا ان حزب الله هم الغالبون أيّدَ امير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، تريدون منا الطاعة . ليست لكم ولا طاعة . وطلبتم ان يثبتكم امرنا قبل ان ينكشف الغطا ، ويقع الضرب والسطا ، هذا كلام في نظمه تركيك ، وفي سلكه تفكيك . لو كشف الغطا لبان . أنقصٌ بعد تبيان ، أكفرٌ بعد ايمان ؟

---

١) زنوت الناس : عليتهم وسادتهم (القاموس) .

٢) اي تمشي وتصعد بقدر ما تطيق .

٣) رومية وهندية .

« ثم اتخذ الله الهٍ ثانٍ (كذا) ، لقد غيتم شيأً . اذاً تكاد السماوات تنفطران ، وتنشق الارض وتخر الجبال (او وتنكر .) هدًا . قل لكاتبكم الذي وصف رسالته ، ورصف مقالته : وصل كتابه ، فكان كصرير باب وكطنين ذباب . سنكتب ما يقول ، ونعد له من العذاب عُدّة . والحمد لله وحده ، والسلام » .

فلما توارتت الاخبار بقدوم التمرلنك والجيوش التترية ، على تخوم الامصار الحلبية ، كثرت الارجاف والضنك . فخرج سنبغا بالعساكر المصريه . وجمع سودون جند الشام ، وخرج بهم من دمشق في اول شهر صفر . فقام على برزة مدة جمعة ، وانتقل الى حمص . فاجتمعوا النواب عليه من صفد وبيروت وطرابلس وغيرهم . ثم خرج من حمص ودخل الى حلب في اول شهر ربيع الاول . فنزل تمرلنك بجيوش التتر لمرج دابق ، وكانوا كالجراد ، الذين ما عليهم مزاد . فارسل تمرلنك الى نايب حلب تأييدًا وتاجاً مرصع ، وسيف [٢٦] محلّى ، وترخاش ، وهدية من مفاخر القماش .

فلما وصل الرسل الى حلب ، قتلهم النايب ، ولم يرد للتمرلنك جواباً . وارسل الهدية والكتاب الى السلطان . فلما بلغ ذلك تمرلنك ، شعل به الغضب ، وجرد بالعساكر الى ناحية حلب . فتلاقت الجمعان خارج المدينة ، وكثر الضرب بينهم . فانكفت عساكر الشام ، وانهزمت للمدينة . فقتل منهم تمرلنك واسر شيئاً لا يعد . وتفرقت جماعته ، فنهبوا ونهبوا ما يفوت الحد . ثم نصب المناجيق (المجانيق) والنفط والنار ، وحاصر حلب اشد الحصار ، فذلت قلوبهم ، ونكست رؤسهم ، وحالت احوالهم ، وهُدمت انفسهم واموالهم . وقويت شوكة التتر والعجم . وانضمت اليهم العساكر والاعلام . فتملكوا المدينة ، وتغيرت بها الزينة . عظمت بها الاهوال ، وخطفت منها الاموال . هدر دماها ، ودرست اسماها . ولم ير بها الا القتك والنهب والضرب ، والقتل والصياح والصرخات من اربعة اركانها .

فصعد الامرا والنواب الى القلعة وتحصنوا بها . ورحل تمرلنك الى المعظم ، فحاصر المدينة اشد حصار . وفي يوم الاربعا نصف الشهر طلبوا الامان . ونزل الى عنده خيتم التركماني ، وسنبغا الداوادار ، فسلماه القلعة ومفاتيحها . فخلع عليهم وردهم الى القلعة بالامان . ثم نزل الى عنده النواب والامرا بلسرهم ،

فاودعهم بالقيود ، وصعد القلعة بنفسه ، واخرج منها الاموال ، وقتل ونهب واسر شيء لا يحصى ، ولا يوصف .

ثم خرج تمرلنك بالعساكر قاصداً دمشق . فوصل الى المعرة ، فانجفلت اهل دمشق من سمع ذلك جفلة شديدة . وكثر صياح النساء وصراخ الصبيان . وخملت قلوب الناس ، وتشتت الاعيان والعساكر . وقصدوا البعض قلعة ارنون . والبعض قلعة شقيف تيرون . وآخرون المواضع الحصينة . واخذ الناس اعيالهم ، وجعلوا تحت الردم اموالهم . وكان كري (اجرة) البغل الى بيروت بماية ، والى الرملة بثلاثماية . وحارت الناس بامرها .

ثم اجتمعوا الناس بدار السعادة . وشرعوا بالقتال ، واستنجدوا بالعساكر المصرية .. فاخذوا الاموال من التجار ، واشتروا آلات الحصار ، ونصبوا المدافع على الاسوار . واجروا [٢٧] مياه في خنادق الانهار ، ونادوا بمنع السفر . وان من هرب تنتهب ارزاقه . وكثر بينهم النهب والضرب بالقيس (القوس) والنشاب . ثم وصلت الاسرى من جهة الشمال واخبروهم بما شاهدوا من القتل والفسق والمنكرات . فامتلت قلوب الناس خوفاً . وانهزموا بشبه السيل الدافق . وتركت الناس اموالهم ونعمتهم ، وتشتتوا في اماكن مختلفة .

ثم هرب السنيغا الدوادار ، ونواب صفد وطرابلس وبيروت ، وهم لابسون الخلقان ، ينادوا في العالم الفرار الفرار ، ويعلموهم بكثرة التتر وكفرهم ، وبما صنعوا بحلب واهلها . عند ذلك امر الحاجب ان تنزع الشرط السلاح ، ولا احد يحمل قوساً ولا نشاب . ولما تحققت الناس بهلاك عساكر الشام ، وعدم خروج المصريين ، فضاقت بهم ، وزادت بقلوبهم الرعبة ، لما شاهدوا النواب والامراء لم يرجعوا الا بطوق العبا ، او في لباد ، او في الخلقان . وفر ناظر الجيش وكاتب السر ، وبقية الاعيان والاماثل . ولم يبقا الا الماكين والارذال .

ثم ان تمرلنك ارسل ولديه : مهران شاه ، وماردين شاه الى فتح حماة . فلما دنوا منها ، تلقاهم اهلها بالضيافة . فرضوا منهم ، واستنابوا عليهم نائباً ، واخذوا الهدية التي قدموها لهم ، ورحلوا عنهم . ثم ان وثب آل حماة على

النايب ، فقتلوه . فلما بلغ ذلك مهران شاه ، وماردين شاه ، فرجعوا بالجيش ، فقتلوا ونهبوا واحرقوا اغلب البلد ، وحاصروا القلعة حصارًا شديدًا . واستنجدوا بتمرلنك ، فارسل لهم عشرين الف مقاتل ، فملكوا القلعة ، والقوا من تحصن فيها في المهالك . وخربوا وعلقوا وقتلوا وحرقوا . فدرست محاسنها ، وانبدلت معالمها ، وازداد (ازداد) الجفل والرعب باهل الشام ، فخرج نصفهم من البلد.

ثم تواترت الاخبار بخروج السلطان من مصر ، وقدومه الى بلاد الشام . فتطمن الناس وتهيوا للحصار ، واجروا في الخنادق الامياه . وجمعوا العساكر ، وفتحوا الحواصل ، ونادوا بالجهاد . فتمسك الناس ببعضهم ، ودخل السلطان الى دمشق ، وقبلته اهلها [٣٨] بفرح شديد . فنزل بالقلعة وحصّنها ، وفرّق على الناس السلاح والنفال . واشتدوا كلهم للقتال وحصل من ذلك على تمرلنك خوف شديد . وعزم على الهرب والرجوع لبلاده ، في وصول السلطان . وصار ان دخل على السلطان شخص من خواصه ، وخوّفهم من الاعدا وشدتهم ، وقال : لا بد ان تمرلنك يملك على الشام فتفوتك مصر ، فلا تتأخر ، ولا تنام . فحصل ذلك الراي على السلطان ، وخشي على مصر ، فخرج من قلعة دمشق ليلًا ، وترك الشام وراءه ، وطلب الرجوع الى الديار المصرية . وذهب على طريق البقاع العزيزة ، وجعل طريقه على الجبال . فبات ثاني ليلة بسفح جبل لبنان الى جهة الغرب ، بمكان يقال له الصفصاف ، بين قريتي نيحا وجباع الحلاوى ، لئلا يعلم به احد ، وتوجه الى طريق الساحل ودخل على مصر . فلما بلغ تمرلنك ذهاب السلطان ، داخله الطمع ، واحتاط المدينة بالعساكر . ونصب خيامه من قبة يلبغا الى الربوة الى ميسلون .

ويقول ابن الحريري ان اشتد الحصار والقتال ، ورأت آل دمشق من المضايق والاهوال مما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على بال . وجرى من الحروب ما لا جرى بين الملوك الاكاسرة ، والعرب والقياصرة ، وخلفاء الاسلام ، وسلاطين العراق ، ومصر والشام ، ولا سابور مع القيصر . ولا الاخشيد مع القايد جوهر ، ولا لبني امة مع ابا مسلم ، ولا النعمان ابن خالد مع جبلة الغساني ، ولا القايم مع ابن كيداد ، ولا الامين مع المأمون

ببغداد، الخ ... ما حدث على الاسلام من الضنك في وقعة الطاغي تمرلنك .

وقاتلت اهل دمشق بقتال شديد لم يعهد مثله . وباتت دمعة من يخاف الله لا ترقا ولا [٢٩] تخمد . واشتد القتال وكثرة الاهوال ، وذهبت الارواح والاموال . فيا لها من مصيبة ما اعظمها ، ومن محنة ما اولها (آلها) . ثم دخل تمرلنك المخذول الاعرج المشلول الى دمشق ، ووطأها ، واسفل اهاليها واوطاها ، واهان امانيا ، واذل اعيانها ، ونهب وفتك وفضح ، وهتك وشتت ، وفرق ومزق الاحشا ، وحرق واسر اهلها ، وخربها عن آخرها واصلها ، وقتل اعيانها ، وهتك نسوانها ، واحرقها من اربعة اركانها . احرق الجامع الاموي وسائر المساجد والمعابد ، وتركها اطلال بلاقع ، لا اسواق ، ولا جوامع . وقطع اشجارها ، واباد اثمارها ، وهدم قلعتها . ودرست نعتها ، وتغيرت محاسنها . وبالجملة يضيق هذا المختصر عن تمرلنك وما فعل ببلاد الشام من القتل والاسر والحريق ، والنهب والفسق ، في الحريم والبنات والاولاد ، وقتل الاطفال واخذ الاموال . وقيل انه كان يأمر بجمع الاطفال ، ويرميهم في بئر حتى يمتلي من الاطفال ، ثم يرمي عليهم الحجار العظيمة ، فتسمع لهم صراخاً عظيماً .

وكان يجمع الاولاد ويضعهم في الخنادق ، ثم يدوسهم بالخيل والبقر . ولم يخرج تمرلنك من دمشق حتى جاها جراداً عظيماً غطا السما وملأ السهل والوعر ، فاستل النبات والاشجار ، وامتلت منه العيون والانهار . وتبعه الغلا العظيم والقحط الجسيم ، وعدم القوت اصلاً (البتة) . واكلت الناس اولادهم وعبيدهم وجواريهم . ولم يوجد القوت بحال ، ولا بحال من سايرِ الاحوال . فلما نظر ذلك تمرلنك الاعرج ، رحل من دمشق ولم يبقِ منها ساكن . وجميع ذلك بعدل الله واحكامه ، لاجل كثرة خطايا اهلها ، وارتكابهم الفواحش مع الاناث والذكور .

ويقول المطران يعقوب من قنبا ، في كتاب الناموس الذي كتبه في دير السيدة بارض لحفد ، باسم المطران داود ابن جوسلين الحدشيتي في سنة ١٧١٣ يونانية (١٤٠٢ م .) ، بان بتلك السنة جاء فناء حتى بقي ناس كثيرة بلا دفن . وجاء غلا حتى مات ناس كثيرة من [٣٠] الجوع . وابصرت الناس ضيقه

شديدة وشدة عظيمة ، وهم وجوع وحزن وبلا ، لم يكن مثله منذ ابتدا العالم . وان قبل ذلك بسنة ، خرج من الشرق الملك تمرلنك واخذ مدينة سمرقند بعساكر متوافرة ، واسبى واحرق واخرب ، واستأسر نامر كثيرة ، ولم احد اشهر بوجهه سيف . وعاد لبلاده بغنايم جزيلة . في سنته ظهر الجراد في ٢٩ آذار ، واكل الزريعة ، وبقيت الارض كما كانت في الكوانين . ثم اخلف (نبت من جديد) الزرع ، وحملت الكروم حمل زايد .

وفي١٢ من ايار طلع الزحاف ، فارتعى الزروع والكروم والاثمار والاشجار ، حتى الحرش والغابات ، وعرّى الارض بالكلية . وغليت الاسعار ، حتى ان شنبل القمح زاد عن الخمسين[1] ، والدخن (حبوب دقيقة) عن الثلاثين، وفنيت اكثر الماشية ، وجاء على الناس ضيقة شديدة جدًّا .

وفي سنة الف واربعماية وواحد ، استقر في نيابة دمشق الامير اقبغا الجمالي ، وشرع عمارتها . وبعد منها نقلوا الشيخ محمود الخاصكي من نيابة طرابلس الى دمشق ، وشرع في عمارتها . وفي نيابة دمشق استقر الامير دقماق الخاصكي وسعى في عمارتها . وفي سنة ١٤٠٢ وصلت رسل تمرلنك مع هدايا عظيمة للسلطان فرج ، واعتذر بما صدر منه ، ووقع بينهما .

اخذ طرابلس من الافرنج وتسليمها للاسلام

في سنة ١٢٨٧ م. توفي بيومند البرنس صاحب طرابلس . وهو الذي بنى دير بلمند فوق طرابلس ، وجعله سرايا يتنزه بها . فلما اخذ خبره السلطان قلاوون ، سار بالجيوش المصرية ، وكاتب حسام الدين بلاقيه في الجيوش الشامية على فتح طرابلس . فاجتمعوا يوم الجمعة ، مستهل ربيع الاول ، ونصبوا عليها المجانق الكبار والصغار من جهة الشرق . واشتد عليها الحصار والقتال نحو ثلاثة وثلاثين يوم . وفتحها بالسيف نهار الثلاثة في ٢٥ نيسان . فقتل عليها كثير [٣١] من المسلمين ، ومن الرجال الذين قدموا لنجدتها من الجبال . وقتل

١) الشنبل وزن قدره ثمنون رطلًا.

السلطان غالب رجالها ، وسبيت ذراريهم ، وغنم العسكر غنيمة عظيمة . ولم ينجا من الافرنج الا القليل .

ويقول ابن ايوب صاحب التاريخ المختصر ، كالذي كان حاضر : اقتحم عسكر الاسلام البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى جزيرة سنطلس (سان توماس : اي القديس توما) التي تسمى الآن جزيرة النخل ، قبال (تجاه) المينا . فقتلوا جميع من بها من الرجال والنسا والصبيان ، الذين كانوا هربوا بوقت حصار المدينة . ثم بعدما نهبوها العسكر ، امر السلطان بحريقها وهدمها الى الارض . ثم بنيت على نصف فرسخ منها ، في وادي الكنايس . وجعلوا كنايسها جوامع . ومدارسها بقيت مدارس للاسلام . والوقف الذي كان للمدارس والكنايس ، بقي على حاله الى الآن . وسكنوها الاسلام . وكان مدة ولاية الافرنج على طرابلس ماية وثمانية وسبعون سنة ، منذ سنة الف ومايه وثمانية ، الى الف ومايتين وسبعة وثمانين .

وبسبب ان الكساروة والجرديين تولوا على نجدة الافرنج ، امر حسام الدين لاجين نايب دمشق ان قرا سنقر يجمع العساكر الشامية ، ويزحف بهم على استئصالهم . ويقول ابن سباط ، ان من جملة المطالعات ، كتب الى امرا غرب بيروت ، جمال الدين حجي ابن محمد التنوخي ، والى زين الدين ابن علي ، ان اذا بلغها توجُّهُ المقر الشمسي ، سنقر المنصوري ، بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان والجرديين ، يتوجهوا اليه بجموعها واهبتها . وان من نهب امرأة تكون له جارية ، او صبيًا كان له مملوكاً . ومن احضر منهم راس ، له دينار . وان سنقر توجه لاستئصال شأفتهم ، ونهب اموالهم ، وسبي ذراريهم وانفسهم .

ومن ذلك الحين خربت كسروان . والذي بقي من بعد القتل ، تشتت شمله . وسكنت الاسلام سواحل كسروان ، مثل الزوق وغادير ، وساحل علما وغزير . والمتاولة امتدوا الى جرد البلاد ، مثل جراجل وميروبا ، وقاريا وما يليهم . واما بقية البلاد الوسوط ، صارت خراب مدة مستطيلة .

[٣٢] تاريخ اصل طوايف مثل امرا ومشايخ وغيرهم[1]

١ً اصل بيت معن

آل معن جدهم الاول هو الامير معن ، امير العرب الايوبية . وهم فصيلة من بني ربيعة الفرس . كانت منازلهم اولًا في نجد وديار ربيعة ، ثم نهضوا الى الجزيرة الفراتية .ثم ظهر الافرنج،فغزاهم الامير معن على الديار الانطاكية، وذلك سنة ٥١٣ ﻫ. (١١١٩ م.) . ولازم الغارة عليهم ، فاشتهر اسمه . ثم استفحل امر الافرنج في تلك الديار ، فرحل الامير معن بالعرب الايوبيه ، فنزل البقاع من الديار الشامية . فاتخذهم طغتكين التركي ملك الشام يومئذٍ احلافاً له ، وامر الامير معن ان يقوم بعشيرته من البقاع ، ويصعد من الجبال العالية من لبنان ، المشرفة على ساحل البحر ، ليطلق الغارة على الافرنج الذين في الساحل البحري .

فنهض الامير معن بمن معه ونزل الشوف ، وكان في ذلك العصر قفرًا خالياً من السكان . فكان حلوله في صحرة قرية بمقلين ، وجعل مقره فيها وتوطنها بنوه بعده. واشتهرت امارتهم في جبل الشوف الى ان ظهر منهم الامير عثمان ، وابنه الامير فخر الدين بعده ، وهو اشهرهم ، وصاحب الدعاء المشهور لمولانا السلطان الاعظم والخنخار الافخم ، السلطان سليم العثماني ، فاتح مصر حين قدم عليه.

ثم ظهر بعده من بنيه الامير فخر الدين المشهور الذي قتلته الدولة العلية . وبعد ان كان اشتدت شوكته ، وعظمت شهرته ،وطأ برجل خيله غالب الديار، وشاعت مهابته في كثير من الاقطار ، وحوادثه ومواقعه كثيرة . واشتهارها يغني عن ذكرها. ثم بنوه بعده الى ان ظهر منهم الامير احمد،الذي هو آخرهم، وبه انقطعت امارتهم . وكانت وفاته سنة ١١٠٩ﻫ.(١٦٩٧م.).ولم يترك ولدًا.

٢ً اصل بيت ننوخ

هم على ما روي ، انهم ينتسبون الى الملك النعمان ابن المنذر ، ابن ما.

---

١) ان المؤلف هو السباق الاول الى الكتابة عن تاريخ الاسر اللبنانية . وعنه اقتبس الشيخ طنوس الشدياق (حدث بيروت) في كتابه الشهير «تاريخ الاعيان . . .» طبعة سنة ١٨٥٩ ، وغيره من بعده. . .

السماء ، الى لخم وجذام . ويقولون انه لما [٣٣] قتل كسرى النعمان ، وتفرقت بنو النعمان بين قبائل العرب ، فنزل منهم قحطان الى قبيلة متن قبائل تنوخ ، ولد له عندهم ولد ، فسماه التنوخ . فقام اميرًا عليهم واطاعوه . وتلك القبيلة هي اول الطوائف الواردين الى لبنان . وكان نهوضهم اولًا من البرية الى الجبل الاعلى ، ومنه الى غربي لبنان . وكذلك سنة ٥ (مائتين هـ .) فتوطن الامير تنوخ حصن رحول الواقع في مقاطعة الغرب التحتانية ، وكانت قفرا .

وتفرقت الطوابق في تلك البلاد . وكان الامير تنوخ يلقب بالمنذر . فجعل يحكم بينهم ، وبنوه من بعده الى ان ظهر منهم تنوخ ايضاً . فعظمت شوكته وضم الكل اليه ، وقام فيهم اميرًا . وثبتت الامارة لبنيه من بعده ، حتى ظهر منهم الامير ظهير الدين كرامة ، ابن مجتر ، وبه سادت الامارة التنوخية . وبنوه لا يتجاوزونه بانتساب . ولم يشهر منهم قبله . ثم قام بعده ولده حجة ، ثم بنوه بعده . وسكن في قرية عبيه ، في الغرب الفوقاني ، وعمر بها سرايا عظيمة لا يوجد في تلك الايام مثلها ، في جبل الشوف . وهي باقية الى عصرنا من زود حسن بناها ، الى ان اشتدت الفتنة بين القيسية واليمنية . وغار الامير علي ابن علم الدين اليمني عليهم ، في قرية عبيه ، فدمهم وهم في الحمام ، فقتل منهم جماعة . ثم دمهم الى منازلهم وقتلهم من كبيرهم الى صغيرهم . ولم يبق منهم احد ، وذلك سنة ١٤٣٥ .

٣ اصل بيت علم الدين

هؤلا فرع من امراء التنوخية . الجميع كانوا ساكنين عبيه . حصل بينهم منازعة . ونقل منهم واحد وسكن عرامون الغرب ، وعمّر وخلف الامير حسان . والمذكور خلف الشيخ مضفر . واشتدت سطوة بيت علم الدين ، وقويت شوكتهم .

والشيخ مضفر خلف الامير علم الدين صاحب السطوة الكبرى . وكان هذا الامير ذو شجاعة وسخاوة عظيمة . وضرب في شجاعته وسخاوته المثل . وله وقايع حروب عديدة . وحضر حصار بغداد مع السلطان مراد . وهو اول من جاب راس من بغداد ، وكان فتوحها عن يده . وحصل له حظ وشان

عند الملك . وانعم عليه بخط شريف في حكومة بلاد [٣٤] الشوف . وهو الذي قتل امـارة (امراء) تنوخ الاربعة في عبيه بساعة واحدة . وتلاشت دولة آل تنوخ عن يده . واستقام يخابط ويشالش (يجالد) في الشوف ، الى ان صارت هوشة عندارة بين القيسية واليمنية ، وتلاشت دولة بيت علم الدين .

٤ اصل الامراء الشهابيين

جدهم الاول الحارس بنو هشام المخزومي القريشي — رضي الله عنه . والحارس المذكور قدم من الحجاز اميرًا على جيش بني مخزوم سنة ١٥ (خمس عشرة) صحبة الجيوش التي وجهها ابو بكر الصديق الى فتوح الشام . وحرر جميع المواقع التي جرت في اليرموك ، ومرج الصفر ، في اراضي حوران . وكانت المواقع جميعها مع الروم . ثم استشهد الحارس المذكور ، في حصار مدينة الشام ، في السنة المذكورة . فقام بعده ولده يحضر الغزو والجهاد الى ان فتحت دمشق فانتقل مالك باهله وعشيرته الى حوران ، بامر عمر ابن الخطاب ، وتأمر فيها ، وبنوه بعده . وهو الملقب بشهاب . لان اباه الحارس كان تزوج بابنة من ذرية شهاب ، ابن عبد الله ، ابن ابي زهرة القريشي ، من رهط آمنة ام النبي (محمد) . فولد له منها ولده مالك هذا ، فلقبه شهاب تبريكاً بجده شهاب ابن عبدالله . فلذلك يقال لبنيه بني شهاب .

ثم انتقل بنو شهـاب من حوران ، الى بلاد وادي التيم ، بسبب يطول شرحه ، وذلك سنة ٥٦٨ ﻫ (١١٧٢ م .) . فاستولوا عليهـا عنوة من الافرنج ، وتأمروا فيهـا بعهد من السلطان نور الدين محمود زنكي ، الشهير بالشهيد ، ملك الشام يومئذ . وكان الامير فيهم ، منقذ . فتوطن البلاد المذكورة اميرًا ، وبنوه من بعده . وكانت اقامته في حاصبيا الى عهد الف وستة ﻫ (١٥٩٧ م .) .

(لها صلة)